ترجمـــــــــــــــات |
مـن العـــدد ١٣ | رجب الاصب | حزيران | ٢٠١٠

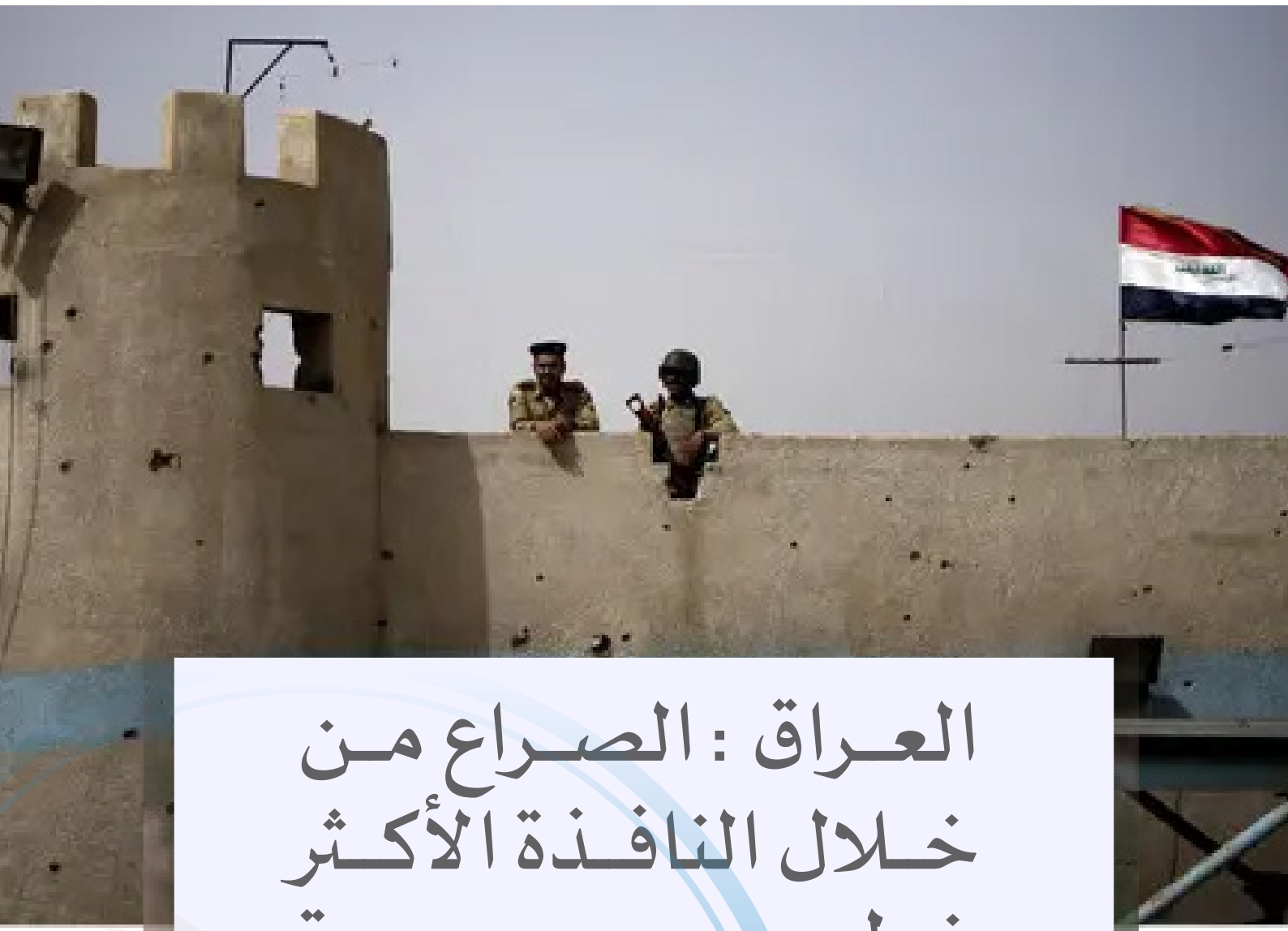

العـراق : الصـراع مـن خـلال النافـذة الأكـثر خطـــــــــــــورة

ترجمـــــــــــة : المعهد العراقي للحوار

* حـوار مـع بـيرت اتـش ماكغوريـك، باحـث في العلاقـات الدوليـة بمجلـس العلاقـات الخارجيـة، نشـره مجلـس العلاقـات الخارجيـة بتاريـخ ٧/ نيسـان ٢٠١٠.

العراق :الصـــراع من خلال النافذة الأكثر خطـــــــــــورة

ترجمة: المعهد العراقي للحوار

حتى خلال الأيام القليلة الماضية، يمكن أن نقول إن العنف أصبح عادة منتظمة دورية ويمكن حدوثها في أية لحظة، استنادًا لما حدث في السنة الماضية. إذ إن تفجيرات كبيرة تحدث كل ٩٠ يومًا. اتهم الجيش الأمريكي فلول تنظيم القاعدة بالوقوف وراء هذه الهجمات، لكن بالاعتقاد بأن الـ٩٠ يومًا بين كل تفجير والذي يليه تعني أن هناك ضعفًا في قدرات هذا التنظيم على وجه العموم. بالإضافة إلى ذلك، فإن الهجمات تركزت على مؤسسات الدولة، كالوزارات والمكاتب الحكومية بدءًا من تفجيرات آب ٢٠٠٩، وتفجيرات تشرين الأول ٢٠٠٩، إضافة إلى استهداف أماكن أخرى لها قيمة رمزية، كالفنادق التي يقطنها الصحفيون الغربيون كما حدث في يناير ٢٠١٠.

شهد هذا الأسبوع تفجيرات مختلفة للغاية في طابعها التقليدي، وسببت في زعزعة الاستقرار إلى حد ما. مستهدفة المدنيين العراقيين، وتمثل هذه الهجمات زيادة في وتيرة ما كان يحدث خلال عام.

ففي الخامس من نيسان الجاري، ضربت ٥ انفجارات ضخمة عدة مبانٍ سكنية في بغداد، إذ من الصعب حماية مدينة تحتوي ٨ ملايين نسمة.

وقبل يومين، حدثت انفجارات استهدفت بعثتين دبلوماسيتين وكنيسة

في يوم عيد الفصح. وفي الأسبوع الماضي كان هناك تفجيرات في الأنبار وديالى، وتم قتل مدنيين إعدامًا بالرصاص في عرب جبور، جنوب بغداد، وفي محافظة واسط بالقرب من الحدود الإيرانية.

هذا ما يحدث في العراق، هل يستدعي هذا التصعيد في العنف مواصلة خفض عديد قوات الولايات المتحدة من العراق بحلول آب أغسطس؟ وكيف؟ وعلى كل حال، هل يرتبط هذا العنف بعدم الاستقرار السياسي في أعقاب انتخابات ٧ مارس؟.

من السابق لأوانه استخلاص النتائج، لكن هذا النمط مثير للقلق.

على الجانب الآخر، عانى العراق من أعمال عنف أكبر مما شهده الأسبوع الماضي، لكن لا توجد إشارات تدل على تفجر الوضع. في الواقع، إن العنف الطائفي الذي كان في العراق عام ٢٠٠٦، ليس موجودًا الآن، فلا توجد مؤشرات تدل على عودة المليشيات، وإن القوات الأمنية ترد باقتدار (رغم تعرضهم لهجمات كثيرة).

والحكومة مستمرة في تسيير شؤون الدولة، نحن لا نعرف بالضبط إذا ما كانت شرارة العنف الطائفي سوف تشتعل مجددًا، لكننا نعرف بأن تنظيم القاعدة سيبذل قصارى جهده لفعل ذلك. لذلك، ستكون الأشهر المقبلة حساسة للغاية، خطيرة وغير مؤكدة. نتذكر الهجوم على مسجد سامراء، والذي أشعل العنف الطائفي عام ٢٠٠٦، في ٢٢ فبراير ٢٠٠٦، تسعة أسابيع بعد الانتخابات البرلمانية الوطنية. مضت حتى الآن أقل من أربعة أسابيع على الانتخابات الوطنية، ونبعد عدة شهور من وجود حكومة جديدة.

قال الجنرال راي أوديرنو قائد القوات الأمريكية في العراق، إن التسعين يومًا

التي تلي الانتخابات، ستكون نافذة لأعمال عنف كبيرة وكثيرة. ونحن الآن في منتصف هذه المدة.

لا ينبغي أن يكون جدول أغسطس غير قابل للتعديل

إن البيت الأبيض ملزم باثنين من الجداول الزمنية بما يتعلق بانسحاب القوات من العراق، تم التفاوض في واحد منهم مع الحكومة العراقية وتم جعله بمثابة اتفاق دولي ملزم. وبموجب هذا الاتفاق الزمني، ينبغي أن تكون كل القوات الأجنبية خارج العراق بحلول نهاية ٢٠١١، تم اختيار هذا التأريخ بعناية بعد ١٨ شهرًا من المفاوضات مع الحكومة العراقية. ويراعي هذا التاريخ بعين الاعتبار قدرًا كبيرًا من المرونة آخذين بنظر الاعتبار عام ٢٠١٠ (باعتباره عام عدم اليقين) لوجود الانتخابات وحدوث تغيير سياسي. يسمح الاتفاق أيضًا بطلب الحكومة العراقية لتمديد وجود هذه القوات، من أجل تدريب القوات العراقية. باستثناء الكتلة الصدرية، تقريبًا جميع الكتل السياسية لا تعارض هذا التمديد، ونتوقع حدوث هذا التمديد إما بنهاية هذا العام أو مطلع عام ٢٠١١.

أما الجداول الزمنية الخاصة بسحب ٥٠ ألف عنصر بنهاية أغسطس ٢٠١٠ فهي ليست ملزمة. فإن هذا القرار أحادي الجانب وضعه الرئيس الأمريكي أوباما حال توليه رئاسة الولايات المتحدة، إذ قال إنه سيتشاور بعناية مع مستشاريه والقادة العسكريين حوله، مع فتح الباب أمام «التعديلات التكتيكية».

معظم العمليات العسكرية التي تضرب في العراق هي من تخطيط تنظيم القاعدة، هذا التنظيم الذي لن يكون في يوم ما جزءًا من العملية السياسية. مع ذلك فإن التصورات تعطي انطباعًا بأن المسألة أبعد من هذا الواقع.

وأن الشكوك الراسخة سوف ترفع من درجة حرارة سير محادثات تشكيل الحكومة غير المنكشفة بعد.

قد يكون الوقت حان للنظر في تعديلات تكتيكية من هذا القبيل. فإن انتخابات مارس جرت قبل ٣ شهور من انسحاب جزء من القوات في شهر أغسطس، مما يعطي مجالًا للقادة الأمنيين لالتقاط الأنفاس، وربما يتمكنون في الثلاثة أشهر هذه من مساعدة العراقيين في تحقيق الأمن في العراق. وبدون تمديد، يجب أن يركز قادتنا بشكل مكثف على إدارة الانسحاب لوجستيًا وسحب المعدات خلال الأربعة أشهر التي تلي شهر أغسطس، هذا الانسحاب الذي لم يسبق له مثيل منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.

على أقل تقدير، إن الجدول الزمني الحالي لسحب القوات يزيد من فرص اللاتأكد من الأوضاع للفترة الممتدة من الزمن الحالي حتى آب أغسطس. بالوقت نفسه لا ينبغي أن يكون حجر عثرة للانسحاب.

عدم الاستقرار السياسي سوف يستمر في الصيف

إضافة إلى حالة عدم اليقين في الوضع السياسي الحالي. يجب أن نكون واقعيين بشأن كم من الوقت سوف تتطلب عملية تشكيل الحكومة، فإننا نتوقع أنها سوف تنبثق أواخر الصيف الماضي. إن صعود وهبوط الائتلافات السياسية هو أمر منفصل، لكن الموضوع يستحق المتابعة من حيث المساهمة في خفض العنف ومتابعة خفض قواتنا وتأثير كل منهما في سير المحادثات ببغداد. جميع قادة الشيعة يوجهون اللوم إلى سوريا لدورها في إذكاء التمرد من حيث التمويل والتدريب والسماح لعبور الانتحاريين.

إن الزيارات الرفيعة المستوى التي قام بها أطراف من قائمة العراقية إلى دمشق قبيل الانتخابات أثارت الاشتباه بوجود دوافع سياسية للعنف. يعزي

العرب السنة وعدد كبير من شخصيات قائمة علاوي العنف إلى إيران وأنها المسؤولة عن المشكلة التي يعاني منها كل العراق تقريبًا. الزيارات التي يقوم بها الشيعة إلى إيران تغذي ادعاءات السنة التي مفادها بأن إيران تقف وراء أعمال العنف التي تشهدها البلاد الآن.

في الحقيقة، فإن معظم أعمال العنف تستهدف العراق، التي خُطط لها ونُفذت من قبل تنظيم القاعدة في العراق، التنظيم الذي لن يكون يومًا ما جزءًا من العملية السياسية. فالتصورات، على كل حال، هي أمور أكثر من كونها حقائق، وهذه الشكوك الحقيقية سوف ترفع من درجة حرارة مفاوضات تشكيل الحكومة. وكلما تعقد أو قل تعقيد هذا المزيج، فإنه سيستمر في الغليان.

في الواقع، هناك افتراضٌ مشكوك فيه يتعلق بانسحاب القوات في شهر أغسطس، مفاده أن موعد سحب القوات سوف يحفز العراقيين للعمل معًا وتسوية خلافاتهم. لا يوجد أي دليل عملي لدعم هذا الافتراض، بل ربما يكون العكس هو الصحيح. فإقناع المعتدلين بعقد مساومات، يجب أن يطمئنوا بأن الولايات المتحدة سوف تلتزم ازاءها. نحن نعرف الحجة، فعلى سبيل المثال، فعندما يقنع الإيرانيون أصدقاءهم من الأحزاب الشيعية الموجودة في العراق بالعمل ضد مصالح أمريكا، فهم يقولون لهم إن الأمريكيين راحلون، ونحن باقون للأبد، فلماذا تربط مصيرك بهم؟.

باختصار شديد، لا شيء في العراق يمضي بسهولة دون مراعاة الظروف على الأرض ورغبات الساسة العراقيين، سياسات الولايات المتحدة التي تعزز هذا التصور قد تجعل الوضع أكثر خطورة مما هو عليه.

لكن ابقَ هادئًا ...

خلال أول أيام من بدء الهجوم على لندن، قال ونستون تشرشل مقولته الشهيرة «حافظوا على الهدوء، وعلى الاستمرارية»، هذا الشعار مناسب لمن يعمل في العراق. وإن كانت هذه الأيام بعيدة عن أحلك أيام الحرب، في الوقت نفسه ليس هناك من حكمة من إبقاء التفاؤل ازاء الظروف بشكل عام في العراق، لكن من الحكمة اختبار افتراضات العناصر التي تقوم عليها سياسة الولايات المتحدة. هذه حقائق أساسية تظهر بظهور حقائق أساسية، فتأخير الانتخابات الوطنية، وزيادة العنف، وضرورة التأكد من نتائج وتبعات انسحاب أغسطس، فعندما يكون احتمالية المخاطر كبيرة جدًا، فلماذا نعمل على زيادتها؟